التلقي العربي لمنهج النقد الثقافي وآلياته في تأويل النص

التلقي العربي لمنهج النقد الثقافي وآلياته في تأويل النص

* السيدة الدكتورة/ شيخة علي ناصر الراسبي

الملخص بالعربية

يسعى هذا البحث لتناول نظرية "النقد الثقافي" كأحد الاتجاهات النقدية التي تتناول النقد الأدبي لتأويل أبعاده المرجعية والجمالية، وذلك من خلال الوقوف عند تاريخ ظهور النقد الثقافي والتي تعود إلى عهود قديمة نوهت إليه ولكنها لم تنبئ بولادته الحقيقية، لذلك نتطرق للحديث عن بدايات النقد الثقافي ونؤرخ لذلك وفق ما قرره الباحث الأمريكي فنسنت ليتش في تسعينيات القرن الماضي وطرح مشروع "النقد الثقافي ما بعد البنيوي" لتكون مهمته الأساسية في تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية والنقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب، كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية "الرسمية"، وبالتالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة ولا سيما تلك التي يهملها عادةً النقْدُ الأدبي، لذا فإن المحاولات المبكرة للنقد الثقافي لم تكن ذات سمات مميزة ومحدَّدة في المستويَيْنِ المعرفي والمنهجي، حتى جاء الباحث الأمريكي فنسنت ليتش.

وبعد الانتهاء من العرض التاريخي لنظرية النقد الثقافي نتطرق إلى تلقي النقاد العرب لتلك النظرية وتطبيقها في الأدب العربي، ويمكن اعتبار د. عبد الله الغذَّامي أوَّل من حاول تبنِّي مفهوم النقد الثقافي في معناه الحديث الذي حدده فنسنت ليتش واستخدم أدواته لاستكشاف عدد من الظواهر الثقافية العربية التي لم تستطع مختلف مدارس النقد الأدبي السابقة التصدي لها.

لذا نحاول استيفاء كافة جوانب البحث في هذه القضية والتي جاءت تحت عنوان "التلقي العربي لنظرية النقد الثقافي وأثره في تأويل النص الأدبي" من خلال التعريف بمفهوم النقد الثقافي والوقوف عند قضاياه، وكذلك سنتناول المراحل التاريخية التي أدت إلى ظهوره واكتماله على يد الباحث الأمريكي فنسنت ليتش، والوقوف عند ماهية النقد الثقافي كما يراها أهم المتلقين العرب لها وهو الدكتور عبدالله الغذامي، وبعدها نحاول الوقوف على الفرق بين النصِّ والنص الأدبي، والعلاقة بين كاتب النص الأدبي وقارئه ومُؤوِّله، ومفهوم تأويل النص الأدبي، ومراحل تأويل النص الأدبي، معتمدين في ذلك على إظهار آليات تأويل النص الأدبي التي يمكن من خلالها رصد معنى التأويل وأنماط القراءة التأويلية للنص الأدبي في ضوء النقد الثقافي، ثم نردف البحث بخاتمة نعرض فيها لأهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي – آليات النقد – تأويل النص – التلقي – فنسنت ليتش.

وزارة التربية والتعليم – سلطنة عمان

Abstract

This research seeks to address the theory of "cultural criticism" as one of the critical trends dealing with literary criticism to interpret its reference and aesthetic dimensions. It points at the date of the cultural criticism emergence, which dates back to the old eras, noted it but did not predict its real birth. This research touches upon the beginnings of cultural criticism and chronicles it the way the American researcher Vincent Leach had decided in the nineties of the last century. He put forward the project "cultural criticism beyond structure" with a main purpose to enable contemporary criticism to emerge from the formalism of criticism that limited practices of criticism within the framework of literature, as understood by "official" academic institutions. The project thus, enabled critics to address various aspects of culture, particularly the one literary criticism often neglected. Due to that, the early attempts at cultural criticism did not have distinctive and specific features in both the cognitive and methodological levels, until the American scholar Vincent Leach came in.

After the historical presentation of the cultural criticism theory, the research addresses the receipt of the Arab critics of that theory and its application in Arab literature. It is possible to consider Dr. Abdullah Al-Ghadhami to be the first to try to adopt the concept of cultural criticism in the modern sense defined by Vincent Leach. He used its tools to explore a number of Arab cultural phenomena that various schools of literary criticism could not address.

Therefore, this research tries to fulfill all aspects in this case, which came under the title "Arab reception of the theory of cultural criticism and its impact on the interpretation of the literary text". The research introduces the concept of cultural criticism and stands on its issues, as well as addresses the historical stages that led to its emergence and completion by the American researcher Vincent Leach. It also stands at cultural criticism definition as seen by the most important Arab recipients, Dr. Abdullah Al-Ghadami. Then the research tries to identify the difference between the text and the literary text, the relationship between the writer of the literary text and its reader and interpreter, the concept of the literary text interpretation, and the stages of the interpretation. In this process, the research relies on showing mechanisms of literary text interpretation through which it is possible to monitor the meaning of interpretation and the patterns of interpretation of literary text in light of cultural criticism. The research then ends with a conclusion with the most important findings and recommendations.

Keywords: Cultural Criticism - Mechanisms of Criticism - Text Interpretation - Receiving - Vincent Leach

المقدمة

يعود تاريخ ظهور النقد الثقافي إلى القرن الثامن عشر الميلادي من خلال عدة محاولات، إلا أن هذه المحاولات المبكرة للنقد الثقافي لم تكن ذات سمات مميزة ومحددة في المستويين المعرفي والمنهجي، حتى جاء الباحث الأمريكي فنسنت ليتش في تسعينيات القرن الماضي وطرح مشروع "النقد الثقافي ما بعد البنيوي" تكون مهمَّته الأساسية تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية والنقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب، كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية "الرسمية"، وبالتالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة، ولا سيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي، ويمكن اعتبار د. عبد الله الغذَّامي أوَّل من حاول تبنِّي مفهوم النقد الثقافي في معناه الحديث الذي حدده فنسنت ليتش، واستخدم أدواته لاستكشاف عدد من الظواهر الثقافية العربية التي لم تستطع مختلف مدارس النقد الأدبي السابقة التصدي لها.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى الحاجة الماسة لوجود مناهج مواكبة للتطور العصري الذي نعيشه في يومنا الراهن؛ فلم يعد النَّقد بمفهومه التقليدي قادراً على ذلك، بل إنَّ الناظر للتاريخ النقدي ليجد من بين الأسطر فراغات كان التراث ولا زال يحتاج إلى سدِّها، وإلقاء الضوء عليها من خلال منهج جديد يتم تطبيقه، وليس هناك أفضل من النَّقد الثقافي والمنهج المطبق من خلاله حتى يتمَّ سبر أغوار مختلف المجالات المعرفية وغيرها، فهو على حد تعبير بعض الباحثين ليس مجالاً معرفيّاً فقط، بل نشاطاً متنوعاً؛ يسهل من خلاله تجاوز النصوص الشعرية والأدبية إلى مختلف المجالات المعرفية حتى الصور الترفيهية ووسائل المعرفة بمختلف أشكالها.

أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار الموضوع إلى:

1. تعيين معنىً معين للنقد الثقافي، ومقاربة ذلك المعنى من خلال الوجهتين العربية والغربية.
2. تحديد آليَّات البحث في مجال النقد الثقافي والتعريف بروَّاده.
3. تقييم أعمال بعض رواد مجال النقد الثقافي، مثل فنسنت ليتش، والدكتور عبد الله الغذامي.
4. التعريف بمراحل نشأة مصطلح النقد الثقافي وآلياته.
5. كيفية الاستفادة من النقد الثقافي وتطبيقاته.

إشكاليات البحث وأهدافه:

بعدما ذكرت أسباب اختيار الموضوع والتي تتعلق بموضوع يمكن اعتباره من أهم الموضوعات المعرفيَّة الحاليَّة وهو النقد الثقافي، حيث يمكن طرح إشكالية وهي:

كيفية مدى التلقي العربي لمنهج النقد الثقافي وآلياته في تأويل النص؟

وعليه فيمكن طرح عدة أسئلة منها:

1 -ما هو النقد الثقافي وما تعريفه؟

2 -ما هي مراحل النقد الثقافي وجذوره التاريخية؟

3 -ما مدى التصاق التأويل بين النقد الثقافي والنقد الأدبي التقليدي؟

4 -هل يمكن الاكتفاء بالنقد الأدبي دون النقد الثقافي؟

5 -ما هو الدور العربي تجاه النقد الثقافي؟

6 -ما هو موقف النقاد العرب وخاصة د. عبد الله الغذامي من النقد الثقافي؟

7 -ماهي حدود النقد الثقافي مقارنة بغيره من المجالات النقدية الأخرى؟

من خلال تلك الإشكاليات يمكن التعرف على أهداف الموضوع ومدى الاستفادة من النقد الثقافي في مناحي الحياة.

ويسعى الباحث للوقف على مفهوم وحقيقة النقد الثقافي، وآليات تأويل النص الأدبي من خلال المسرد التالي:

المبحث الأول: مفهوم النقد الثقافي.

وفيه يعرِّف الباحث بمفهوم النقد الثقافي وقضاياه.

المبحث الثاني: تاريخ النقد الثقافي ومراحله.

وفيه يُبيِّنُ الباحث بدايات نشأة النقد الثقافي والمراحل التي مر بها.

المبحث الثالث: تأويل النص الأدبي.

ويقف فيه الباحث على الفرقِ بين النصِّ والنص الأدبي، والعلاقة بين كاتب النص الأدبي وقارئه ومُؤوِّله، ومفهوم تأويل النص الأدبي، ومراحل تأويل النص الأدبي.

المبحث الرابع: آليات تأويل النص الأدبي في ضوء منهج النقد الثقافي.

يحاول فيه الباحث أن يقف فيه على معنى التأويل وأنماط القراءة التأويلية للنص الأدبي عبر منهج النقد الثقافي.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

مفهوم النقد الثقافي

* مفهوم النقد الثقافي وقضاياه:

من المعلوم أن مصطلح الثقافة عام وعائم وفضفاض في دلالته اللغوية والاصطلاحية، ويختلف من حقل معرفي إلى آخر، وهو من المفاهيم العلمية في الثقافتين: الغربية والعربية على حد سواء، فالثقافة بطابعها المعنوي والروحاني تختلف مدلولاتُها من البنيوية إلى الأنثروبولوجيا وما بعد البنيوية، وتندرج الثقافة مجالياً ضمن الحضارة التي تنقسم إلى شقين: النسق المادي والنصي، ويسمى بالتكنولوجيا، والنسق المعنوي والأخلاقي والإبداعي، ويسمى بالثقافة[1].

ومن ثم يمكن الحديث عن نوعين من الدراسات التي تنتمي إلى النقد الحضاري، الدراسات الثقافية التي تهتم بكل ما يتعلق بالنشاط الثقافي الإنساني، وهو الأقدم ظهوراً، والنقد الثقافي الذي يحلل النصوص والخطابات الدينية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، بعيداً عن المعايير الجمالية والفنية، وهو الأحدث ظهوراً بالمقارنة مع النوع الأول، ومن ثَم، فالنقد الثقافي نقد إيديولوجي وفكري وعقائدي[2].

هذا، ويرى مجموعة من نقاد الثقافتين (ليتش) وعبد الله محمد الغذامي وغيرهما، بأنه آن الأوان للاهتمام بالنقد الثقافي باعتباره بديلاً للنقد الأدبي، بعد أن وصل هذا النقد –حسب رأي عبد الله الغذامي– إلى سن اليأس، ووصلت البلاغة العربية بعلومها الثلاثة (البيان والبديع والمعاني) إلى مرحلة العجز والموت.

وعليه فالنقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة وبتعبير آخر: هو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، ومن ثَم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية ... إلى آخره.

---

(1) ينظر: عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي للنشر، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط2،2001م، ص 14.

(2) ينظر: عبد الرحمن عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2005م، ص 207.

ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع النص الأدبي الجمالي ليس باعتباره نصاً، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية تضمر أكثر مما تعلن، وينتمي هذا النقد إلى ما يسمى بنظرية الأدب على سبيل التدقيق، في حين تنتمي الدراسات الثقافية إلى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع و الفلسفة وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى[1].

* **خصائص النقد الثقافي:**

تكشف لنا مقولات النقد الثقافي عن الكثير من السياق الواسع للنقد الثقافي بوصفه مشروعاً أو طرحاً فكرياً جديداً على مجتمعنا العربي، وتبرز أهم خصائصه في:

– التكامل: النقد الثقافي لا يرفض الأشكال الأخرى من النقد، إنما هو يرفض هيمنتها، إذ يعني ذلك قصوراً في الكشف عن الكثير من العلامات الدالة في سياق النصوص.

– التوسع : يوسع من منظوره للنشاط الإنساني بحيث يصبح المجال منفتحاً أمام أشكال متعددة من النشاط للدخول في نطاق البحث عبر مفهوم النقد الثقافي، وهو يعد إضافة للفن.

– الشمول: يوسع من منظور النقد ذاته ليجعله شاملاً لكل مناحي الحياة، مما يكسب النقد نفسه قيماً أخرى جديدةً، فالنشاط الإنساني كله في حاجة للنقد، بمعناه المطروح في المشروع الثقافي، لتحقيق الأغراض نفسها (التطوير، الكشف عن النظرية، الكشف عن القوانين الجديدة).

– ضرورة : إن النقد الثقافي بهذه الصورة يعد طرحاً نحن في حاجة للنظر إليه متخلصين من نظرة التوجس من الجديد، أو التعامل معه بطريقة الفحص لقبول بعضه أو الأخذ منه بما يتناسب مع أفكارنا القديمة، وإنه في حاجة لتطوير نظرتنا لحياتنا للوصول إلى منطقة يمكننا عبرها أن نستفيد من الطرح الثقافي.

– الاكتشاف والحرية: يسعى النقد الثقافي إلى محاولة اكتشاف جماليات جديدة في النصوص أو الواقع، ويتطلب ذلك حرية أوسع أو مساحة أكبر من الحرية[2].

النقد الثقافي هو الذي يدرس النص لا من الناحية الجمالية بل من حيث علاقته بالإيديولوجيات والمؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ويقوم بالكشف عن تحليلها بعد عملية التحليل النصية.

– أو يمكن القول بأنه هو الذي يدرس الخطاب بما أنه خطاب، بغض النظر عن كونه شِعراً أو كلاماً أو غيرَ ذلك فيقوم بتحليله لكشف أنظمته العقلية وغير العقلية بتعقيداتها وتعارضها[3].

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 229.

(2) ينظر: مصطفى الضبع، ورقة بحثية في أسئلة النقد الثقافي، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر أدباء مصر في إقليم المينا،2003م، ص8، 9، 10، 11، 12، 13.

(3) ينظر: سهيل الحبيب، خطاب النقد الثقافي في الفكر العربي المعاصر ، دار الطليعة، بيروت، ط1،2008م ص 12.

– ويرى (جيرلد جيراف) و (ريجنالد جينز) أن إحياء النقد الثقافي القائم على الأفكار العامة والمعنى الأوسع للثقافة الأدبية، والذي يستوعب الكتابة الخيالية المعاصرة، وغيرها من الوسائط هو أشد ما نحتاج إليه اليوم لبثِّ الحيوية في الدراسات الإنسانية للأدب[1].

ويقوم النقد الثقافي عند (ليتش) على ثلاث خصائص هي:

– لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، سواء أكان خطاباً أو ظاهرةً.

– من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

– إن الذي يميز النقد الثقافي ما بعد البنيوي، هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي لدى (بارت ودريدا وفوكو) خاصة في مقولة دريدا أن: "لا شيء خارج النص"، وهي مقولة يصفها (ليتش) بأنها بمثابة البروتكول للنقد الثقافي ما بعد البنيوي، ومعها مفاتيح التشريح كما عند (بارت).

– كذلك من خصائص النقد الثقافي "الشعرنة" التي ناد بها أكبر رائد في النقد الثقافي ألا وهو (عبد الله الغذامي) وسمى نتاج أمة أو ثقافة أمة بأنها مشعرنة لأن الشعر العربي لم يفقد انتماءه إلى سياقاته الثقافية والمعرفية[2].

كما تأتي وظيفة النقد الثقافي من كونه نظرية في نقد المستهلك الثقافي وليس في نقد الثقافة هكذا بإطلاق، أو مجرد دراستها ورصد تجلياتها وظواهرها، وحينما نقول ذلك فإننا نعني أن لحظة هذا الفعل هي في عملية الاستهلاك، أي: الاستقبال الجماهيري والقبول القرائي لخطاب ما، مما يجعله مستهلكاً عموماً، والنقد الثقافي بذلك يحاول أن يتجاوز التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الانفتاح على الخطاب بوصفه ظاهرة ثقافية أوسع، له نظامه الإفصاحي الخاص[3].

---

(1) ينظر: عبد الرحمن عبد الحميد علي، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص 208.

(2) ينظر: بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003م، ص 231_232.

(3) ينظر: إبواهيم محمود خليل ، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر ، عمان، ط1، 2003م، ص 140.

المبحث الثاني:

تاريخ النقد الثقافي ومراحله

يمكن تلمس بدايات نشأة ونمو النقد الثقافي بشكل أكثر انضباطاً لدى الباحث الأمريكي فنسنت ليتش في كتابه (النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات) حيث طرح فيه مشروعه النقدي واضح المعالم، بين فيه النقد الماركسي وعلاقته بفلسفة الجمال، ومدى الحاجة إلى نقد جديد يهدم ما تم الوصول إليه، حيث عجز النقد بكل مدارسه سبر أغوار النصوص الأدبية والولوج إلى مدلولاتها وخفاياها فوضع فنسنت ضوابط قال عنها صارمة أثناء قراءة الناقد للنصوص قراءة مدققة [1]، وفنسنت حين يوضح ذلك المصطلح فهو يجعله رديفاً أو مقابلاً لمصطلحي ما بعد الحداثة أو البنيوية [2]، مما يجعله مهتماً بلغة الخطاب من حيث هو خطاب، وهذا تغيير في مادة البحث إضافة إلى أنه تغيير في منهج التحليل، الذي تناول المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والمعطيات التاريخية والسياسية والمؤسساتية، دون إهمالٍ لمناهج التحليل الأدبي النقدي [3] . وهذا ديدن ليتش في تأكيده على أن العمل الأدبي ظاهرة ثقافية مفتوحة التحليل من وجهات نظر عدة وهذا ما يجعل الأساليب النقدية متعددة يدخل فيها الاقتصاد، والتنظيم الاجتماعي، والقيم الأخلاقية والمعنوية، والمعتقدات الدينية، والممارسات النقدية، والأبنية السياسية، وأنظمة التقييم، والاهتمامات الفكرية والتقاليد الفنية[4].

كما أكد ليتش إلى ارتباط ما هو محسوس وتاريخي مع المجرد والعام من الفلسفة والعلم، وهذا يحدث من خلال الاستعارة في الشعر، وبمعنى آخر فإن بُعد المحاكاة والمعرفة في الأدب يندمج في نطاق نصي تصويري أكثر حساسية[5]. وهذا ما ألمح إليه آرثر أيزا برجر أن النقد الثقافي يعد نشاطاً أكثر من كونه مجالاً معرفياً خاصاً، لذا فالنقد الثقافي مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة متعددة، ولذلك تجد نقاد الثقافة يأتون من مجلات مختلفة ويستخدمون أفكاراً ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضاً

---

(1) ينظر: فنسنت ب ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، ترجمة: محمد يحي، مراجعة وتقديم: ماهر شفيق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2000م، ص 55.

(2) ينظر: د. عبدالعزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، إبريل 1998م، ص 254.

(3) ينظر: عبدالله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط 3، 2005م، ص32.

(4) ينظر: فنسنت ب ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينات، ترجمة: محمد يحي، مراجعة وتقديم: ماهر شفيق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2000م، ص 104.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص 54.

التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، كما أن بمقدوره تفسير نظريات ومجالات علم العلامات، ونظريات التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والإنثروبيولوجية [1]. ويبدو أن مصطلح النقد الثقافي كان مستخدماً فيما قبل حسب ما ذكر آرثر أيزا برجر أنه كان مستخدماً من قِبل مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام في عام 1971م حيث تم نشر بعضاً من الأوراق البحثية في الدراسات الثقافية، وتم تناول وسائل الإعلام، وكذلك الثقافة الشعبية، والثقافات الدنيا، والمسائل الأيديولوجية، والأدب، وعلم العلامات، والمسائل المرتبطة بالجنوسة، والحركات الاجتماعية، والحياة اليومية، وغيرها من الموضوعات الأخرى المتنوعة، وأضاف أن المركز أسس صحيفة لهذا الغرض والذي كان يعد أمراً مثيراً وممتعاً، إلا أن سوء الحظ ساهم في عدم استمرارية هذه الصحيفة [2].

أما على الصعيد العربي فيعد الدكتور عبدالله الغذامي رائد النقد الثقافي، وتلك الأفكار تبلورت خلال كتاباته المتعددة وخاصة كتابه (النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية) وفيه ظهرت معالجته لما كرّسه الأدباء عبر التاريخ النقدي في معالجتهم لنماذج من الشعراء خاصة، كما أنه طرح عدة أسئلة منها: هل في الأدب شيء غير الأدبية؟

ثم يجيب عن ذلك بأن أدبية الأدب شغلت حيزاً كبيراً من البحث النقدي على مدى قرون وما تزال تفعل، غير أن جهوداً خارقة قد جاءت لتكشف أشياء أخرى من وراء ومن تحت أدبية الأدب [3]. كما صدره بأسئلةٍ أخرى مثل هل الحداثة العربية حداثة رجعية؟ وهل جنى الشعر العربي على الشخصية العربية؟ وهل هناك علاقة بين اختراع الفحل الشعري وصناعة الطاغية؟ إلخ.. حتى أن الغذامي له كتاب (ثقافة الأسئلة) جعل الأسئلة أهم المسائل الثقافية والعلمية بل أخطرها فالسؤال هو الذي يقرر الإجابة حتى أن فن صناعة السؤال هو من أصعب فنون القول والنطق، وأن كثيراً من البلبلة الفكرية التي نعيشها في واقعنا العربي المعاصر هي بسبب أسئلة مهزوزة قادت إلى إجابات مصابة بمثل تلك الأسئلة [4]، وهذه الأسئلة _من وجهة نظر الغذامي_ تعد ركيزة هامة في المشروع الثقافي الغذامي حتى أنها تمهد للبحث في العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعرنة، والتي يحملها ديوان العرب وتتجلى في سلوكنا الاجتماعي والثقافي بعامة [5]. فهو يرفض مسألة قراءة

---

(1) ينظر: آرثر إيزا برجر، النقد الثقافي تمهيد للمفاهيم الأساسية، ترجمة: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م، ص30، 31.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 31.

(3) ينظر: عبدالله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص13.

(4) ينظر: د. عبدالله الغذامي، ثقافة الأسئلة: مقالات في النقد والنظرية، دار سعاد الصباح، ط2، 1993م، ص 87.

(5) ينظر: د. حامد أبو أحمد، الغذامي الناقد: قراءات المشروع الغذامي الناقدي، كتاب الرياض، العدد 97-98، ديسمبر 2001-يناير 2002م، ص87.

النص في ظل خلفيته التاريخية ولا في استخدامه للإفصاح عن الحقب التاريخية ذات الأنماط المصطلح عليها، فالنص والتاريخ منسوجان ومدمجان معاً كجزءٍ من عملية واحدة... وأفضل ما تفعله الدراسات الثقافية هو وقوفها على عمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها[1]. لذا يلجأ إلى ما يسمى بالقراءة التشريحية وهي قراءة حرة ولكنها نظامية وجادة، وفيها يتوحد القديم الموروث وكل معطياته مع الجديد المبتكر وكل موحياته من خلال مفهوم السياق حيث يكون التحول، والتحول هو إيحاء بموت وفي نفس اللحظة تبشير بحياة جديدة [2]. وقبل أن يبدأ الغذامي يحاول من خلال منهجية واضحة أن يطرح سؤالاً ليخرج من خلاله بضوابط أكثر انسجاماً مع النظرية النقدية الثقافية فيقول: لماذا النقد الألسني؟ سؤال في نصوصيَّة النص. ليخرج من الإجابة بمحددات ثلاث وهي التمييز بين الموضوع والذات، والمناهج وتحديدها، والتمييز بينها هي خطوة أولى لامتحان وسائل الاستقراء النصوصي لعالم اللغة [3]. وتطبيقاً لشمولية النقد الثقافي يعالج الغذامي جانباً من جوانب الثقافة الشعبية وهو الصورة من خلال التلفزيون لما لها من القوة والتعبير والتمثيل أكثر مما يملكها غيرها، فالصورة ثقافة وفكر وإنتاج اقتصادي وتكنولوجي وليست مجرد متعة أو محاكاة فنية، وهي لغة عصرية يشترط فيها تطابق القول مع الفعل وتمثل الحقيقة التكنولوجية بما أن الصورة علامة تكنولوجية ومؤشر إنتاجي ومنطق مستقبلي[4].

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 18.

(2) ينظر: د.عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998م، ص59 .

(3) ينظر: عبد الله الغذامي، تشريح النص، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006م، ص 103.

(4) ينظر: عبد الله الغذامي، الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2005م، ص21.

المبحث الثالث:

تأويل النص الأدبي

يختلف النص الأدبي – سواء كان شعراً أو نثراً – عن النص العادي في أن النص الأدبي يتجاوز حدود الكلام المعبر عن الحقائق، إلى عبارات تصور العواطف والتجارب والأفكار من خلال تراكيب وأساليب جمالية، ينفعل بها المتلقي كما انفعل بها الأديب من قبله.

فالنصُّ همزة وصل بين المتكلم والمتلقي، وإذا كان الغرض من فهم النص وتأويله الوقوف على ما فيه من المعلومات، فإن الأمر قد يكون بسيطاً أو قليل التعقيد في المجالات التي تستهدف توصيل المعلومات بأقرب السُّبل باستعمال كلام خطيٍّ مباشر يسهل إدراك مرجعياته، فالمتلقي للنص – سواء كان قارئاً أو سامعاً – يستطيع فوراً أن يقيم في ذهنه تصوُّراً واضحاً لِمَا يحيل عليه النص، فتتحقق الإرسالية ويتم الإبلاغ والتواصل ويُستهلَكُ النصُّ المستعمل فينسى ويفنى.

أما النص الأدبي فهو تواصل بين الأديب والمتلقي إلا أنه تواصل من نوع خاص ينقل المشاعر والعواطف والتجارب عبر تراكيب وأساليب فنيَّة، مما يجعل دراسة النص وتأويله أمراً أكثر تعقيداً، إذا يتحتم على القارئ دراسة المحتوى والشكل كل على حدة دون تجاهل أنهما مترابطان(1).

إن النص الأدبي يحتم تشارك الكاتب والقارئ في التجربة، فللقراءة عديلة الكتابة في إنتاج النص وتفعيله، بل إن القراءة أو القراءات يمكنها مع تعاقب الأزمنة وتراكم الثقافات أن تحقق المزيد في الإنتاجية النصية لأنها تُشرك معرفة القارئ أو القراء بمعرفة الكاتب فتخصب العمل بطريقة ديناميكية ومتجددة، ومن ثم فهي تتجاوز ما يجود به النص لتلاحق ما يندس بين ثناياه وعبر فضاءاته.

ومن ثم يتمثل دور القارئ في تنشيط الحوار الخلاق مع النص من أجل تطوير فن القراءة وفن الكتابة معاً. وهذا معناه أن القارئ صِنو الكاتب في معرفة دقائق المهنة وحقائقها، وعليه أن يفعل في التأويل مثلما فعل الكاتب في التكوين(2) .

وهنا يأتي دور الناقد القارئ للنص قراءة تأويلية، فليس دور الناقد منوطاً بعرض شهادة ميلادِ للمبدع؛ بتتبُّع تاريخ ميلاده، ولا باقتفاء مراحل حياته النفسية، أو الاجتماعية، ولا ملزماً بتسجيل وقائع الأديب أو

---

(1) ينظر: د.حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، نشر: مكتبة العبيكان، ط5، 1425هـ / 2004م، ص372– 376.

(2) ينظر: محمد خرماش، النص الأدبي وإشكالية القراءة والتأويل ، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، العدد 2، 2010م، ص7.

المبدع، بإصدار أحكام حوله، لا ثناءً، ولا قدحاً، بل عمل الناقد اليوم هو قراءة البنى العميقة في النص، في محاولة لتسويغ جمالياته، وإسهام في فك شفرته ورموزه، وهذه العملية تسمى القراءة عوضاً عن النقد(1).

فدور المؤول للنص أن يزيل الغموض حول النص الأدبي ويفتح طريقاً نحو النص يخدم بقية القراء بإنتاج فهم معين من خلال دلالات معينة يمكن تقاسمها مع الآخرين، والمؤول مطالب باحترام مقتضيات النص أي بدراسته في شكله وتشكُّله، وباحترام مقتضيات الفهم، أي أن تأويل النص الأدبي هو عبارة عن قراءة النص الأدبي بحثاً عن أمثل شكل للفهم والاستيعاب(2).

* مراحل تأويل النص الأدبي:

ولكي يصل المؤول إلى هذه النتيجة لا بد له مع النص الأدبي من سلوك عدة مراحل، أهمها:

1- تذوق النص الأدبي وتحليله: والمراد بالتذوق: التذوق الذي يدفع الباحث إلى الجري وراء العلل، والكشف عنها. والتحليل يراد به أن يغوص في أعماق النص، ويكشف عن عناصر الجمال فيه، ويوضح تأثيرها في نفس المتلقي، بحيث يتخطى جانب الذات عنده، وجانب المتعة إلى الكشف عن العلل والأسباب، بل يتخطى ذلك كله إلى أثر ذلك في نفس المتلقي.

2- الوصف أو التوصيف:

هو تحديد مجموع المواصفات والشروط والعلاقات التي تؤسس النص أي تحديد المستوى السيمانطيقي ومعرفة الطبيعة النوعية للكتابة التي ينتمي إليها.

3 - التفسير: وهو محاولة إقامة تلاؤم سيمانطيقي جديد في النص لإزالة الغرابة واستعادة أو خلق الألفة المفقودة فيه، بمعنى التعرف على المقامات أو السياقات التي تفيد في فهمه أو تجعله ذا معنى يساعد على إنجاز المرجعية التي ظلت معلقة.

4- التأويل: يتتبع التأويل إذن وفق المراحل السابقة حركية المعنى في النص متجهاً إلى العالم و مستهدفاً استخلاص الحقيقة من الفن أو معرفة الباطن من وراء الظاهر، فهو بسط للوسائط الممكنة بين الأدب أو غير الأدب والمتلقي، وإذا كان الكاتب غائباً لحظة القراءة فهو معمول حسابه في التأويل، أي في فهمه من خلال فهم كتابته.

---

(1) ينظر: لطيفة أحمد عمار ، النص الأدبي بين القراءة والتأويل ، تحليل مقومات السرد لنموذجين من الرواية الجزائرية، رسالة لنيل درجة الدكتوارة ، كلية الآداب واللغات ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ص14.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص11.

5 – التقويم: وهو الحكم أو التقدير الذي يأتي في نهاية التأويل، ورغم أنه قد لا يكون صائباً أو شاملاً إلا أنه يدفع إلى امتلاك المعنى العميق في النص برمته وتنزيله منزلته ضمن مراتب المعرفة العامة[1].

(1) ينظر: جامعة المدينة العالمية، أصول البحث الأدبي ومصادره، نشر جامعة المدينة العالمية، ص 263.

المبحث الرابع:

آليات تأويل النص الأدبي في النقد الثقافي

تختلف القراءة النقدية للنص عن القراءة العادية، فالقراءة النقدية غوصٌ في أعماق النص، لدراسة البِنَى العميقة، انطلاقاً من تحليل ظاهر النص وصولاً إلى باطنه وما بين طيَّات كلامه، وفي هذه المرحلة المتقدِّمة من القراءة تتراءى للقارئ مهمة التأويل، حيث ينصرف عن ظاهر النص إلى احتمالات قرائية متعدِّدة استناداً إلى دليل لولاه لما ترك ظاهر النص(1).

والتأويل – في أدق معانيه –: "هو تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي من خلال التحليل وإعادة صياغة المفردات والتراكيب، ومن خلال التعليق على النص، مثل هذا التأويل يركِّزُ عادةً على مقطوعات غامضة أو مجازية يتعذر فهمها. أما في أوسع معانيه فالتأويل هو توضيح مرامي العمل الفني ككل ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة، وبهذا المفهوم ينطوي التأويل على شرح خصائص العمل وسماته مثل النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، وعناصره وبنيته وغرضه وتأثيراته"(2).

وحقيقة المقصود بالتأويل فهم النص وكشفه والوقوف على تجلياته، وقد حفلت الساحة النقدية الأدبية الحديثة بفيض غزير من الدراسات المرتبطة بالممارسة النصية، كالأسلوبية والسيميائية وجمالية التلقي، وكلها إن تعددت أساليبها فكل منها يرمي إلى استكشاف وتجلية جانب في النص وتسليط الأضواء على زاوية فيه، وما هذا التعدد في الأساليب إلا لتقديم صورة واضحة كاشفة للنص اللغوي الحي بوصفه وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة المشكَّلة من المفردات المصوغة في جمل، ووظائفها القائمة على النظام النحوي(3).

ويعتبر "النقد الثقافي" من محاولات قراءة النص وتأويله، والتي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، وقد جاء النقد الثقافي كرد فعل على البنيوية اللسانية، والسيميائيات، والنظرية الجمالية (الإستيتيقية)، التي تعنى بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة، أو ظاهرة فنية وجمالية وبويطيقية (شعرية) من جهة أخرى.

فيرى د.عبد الله الغذَّامي أن النقد الأدبي التزم بالنظر إلى النص الأدبي بوصفه قيمة جمالية يسعى دائماً لكشف هذا البعد الجمالي، وتبرير أي فعل للنص مهما كان، تحت مبدأ الأصل الجمالي، مما جعل الجمال

---

(1) ينظر: النص الأدبي بين القراءة والتأويل، ص6.

(2) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي – المغرب، لبنان، ط3، 2002م، ص88.

(3) ينظر: محمد ملياني ، المنهج الأدبي: منهج جمالية تلقي النص الأدبي الواقع والمأمول، مجلة الكلمة ، العدد 72، 2011م، ص 143.

منتجاً بلاغياً محتكراً، وصار المبدأ الجمالي شرط مؤسَّساتي، يصنعه السيد الشاعر ويقوم الفعل النقدي بعمليات التسويق والتعميم، وهذا الالتزام المبدئي حرم النقد من القدرة على معرفة عيوب الخطاب، ومن ملاحظة ألاعيب المؤسسة الثقافية وحيلها في خلق حالة من التدجين والترويض العقلي والذوقي لدى مستهلكي الثقافة وما يسمى بالفنون الراقية والأدب الرفيع(1).

فالنقد الثقافي ربطٌ للأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، ومن ثَمَّ لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية. ومن هنا، يتعامل النقد الثقافي مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصاً؛ بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن(2).

فالنقد الثقافي يعتبر بمثابة ثورة منهجية جديدة في عالم النقد الأدبي؛ حيث أعاد النظر في الكثير من المفاهيم والمسلمات التي تقبلناها حينما كنا ندرس أدبنا العربي على أنها أحكام صحيحة ويقينية بشكل من الأشكال. بيد أن عبد الله الغذامي صحح لنا مجموعة من هذه المفاهيم الخاطئة في ضوء المقاربة الثقافية، وذلك بفضل منهجه النقدي الجيد الذي يعد مشروعاً نقدياً عربياً بِكْراً(3) .

فالنقد الثقافي يقع في إطار النقد القائم على قراءات الاختلاف التي تسير في اتجاه معاكس للمألوف، قائم على المساءلات فيما يتعلق بالنسق النقدي العربي، وذلك بولوج عمق أعماقه بقراءات مستجدة تفصح عن الظاهر والمضمر، ومحاولة الغذَّامي تمثِّلُ مسعىً جاداً لاستكشاف مشكلات عميقة في الثقافة العربية من خلال أدوات النقد الثقافي.

---

(1) ينظر: عبدالله الغذامي ، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، نشر: المركز الثقافي العربي المغرب، بيروت، ط 3، 2005م، ص16.

(2) ينظر: جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، مجلة الملتقى، العدد 27، 2012م، ص105.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص125.

الخاتمة

وبعد هذا العرض لتاريخ النقد الثقافي والتلقي العربي له، ومشروعه في تأويل النص الأدبي، نقف على أهم النتائج للبحث وهي:

1- النقد الثقافي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة.

2- د.عبدالله الغذامي رائد النقد الثقافي على الصعيد العربي، ومن أكثر المعتنين بنقل النقد الثقافي إلى البيئة العربية.

3- أهم خصائص النقد الثقافي: التكامل، التوسع، الشمول، الاكتشاف والحرية.

4- القارئ صِنو الكاتب في معرفة دقائق المهنة وحقائقها، وعليه أن يفعل في التأويل مثلما فعل الكاتب في التكوين.

5- للناقد دور فعَّال ومهم في الوساطة بين كاتب النص الأدبي وقارئه.

6- أهم مراحل تأويل النص الأدبي:

أ- تذوق النص الأدبي وتحليله.

ب- الوصف أو التوصيف.

ج- التفسير.

د- التأويل.

هـ - التقويم.

7- تأويل النص الأدبي هو محاولة لفهم النص وكشفه والوقوف على تجلياته.

8- النقد الثقافي من أهم محاولات قراءة النص، والتي تسعى بالنص إلى قراءة جديدة غير مألوفة من النقد الأدبي، وهو يعتبر بمثابة ثورة منهجية جديدة في عالم النقد الأدبي.

9- النقد الثقافي ربطٌ الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن.

- التوصيات:

إن النقد الثقافي يعتبر منهج جديد على البيئة العربية لما يميزه من التجديد والخروج عن المألوف، ولكن تبقى عليه بعض المآخذ ربما تُتَدَارَك من خلال محاولة تطويره وسَدِّ ثغراته.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

1. أصول البحث الأدبي ومصادره، جامعة المدينة العالمية، نشر: جامعة المدينة العالمية.
2. التحرير الأدبي، د.حسين علي محمد حسين، نشر: مكتبة العبيكان، ط 5، 1425هـ / 2004م.
3. النص الأدبي بين القراءة والتأويل: تحليل مقومات السرد لنموذجين من الرواية الجزائرية، لطيفة أحمد عمار، رسالة لنيل درجة الدكتوارة، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
4. تشريح النص، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006م.
5. ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، د.عبدالله الغذامي، دار سعاد الصباح، ط 2، 1993م.
6. الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2005م.
7. خطاب النقد الثقافي في الفكر العربي المعاصر، سهيل الحبيب، دار الطليعة، بيروت، ط1،2008م.
8. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، د.عبدالله الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998م.
9. دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، نشر: المركز الثقافي العربي – المغرب، لبنان، ط3، سنة 2002م.
10. الغذامي الناقد، قراءات المشروع الغذامي الناقدي، د.حامد أبو أحمد، كتاب الرياض، العدد 97-98، ديسمبر 2001-يناير2002م.
11. قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي للنشر، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط2،2001م.
12. المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003م.
13. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، د.عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، إبريل 1998م.

14. المنهج الأدبي: منهج جمالية تلقي النص الأدبي الواقع والمأمول، ملياني محمد، مجلة الكلمة، العدد 72، 2011م.

15. النص الأدبي وإشكالية القراءة والتأويل، محمد خرماش، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، العدد 2، 2010م.

16. النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، فنسنت ب ليتش، ترجمة: محمد يحي، مراجعة وتقديم: ماهر شفيق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2000م.

17. النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر، عمّان، ط1، 2003م.

18. النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، عبد الرحمن عبد الحميد علي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2005م.

19. النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، جميل حمداوي، مجلة الملتقى، العدد 27، 2012م.

20. النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط 3، 2005م.

21. النقد الثقافي تمهيد للمفاهيم الأساسية، آرثر إيزا برجر، ترجمة: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م.

22. ورقة بحثية في أسئلة النقد الثقافي، لمصطفى الضبع، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر أدباء مصر في إقليم المينا،2003م.